

مراجعات

Khalid Kishtainy, *Palestine in Perspective*
(Beirut: P.L.O., Research Center, 1971).

ولكن ، ولحسن الحظ ، تغير الوضع الان .
مالقارئ الذي يبغى في الحقيقة معرفة صورة
فلسطين ما قبل ١٩٤٨ ، وما هو التبرير الذي قدمه
الصهيونيون لتعاملهم معها كمنطقة للاستعمار ،
وما هي الحيل والذرائع التي استخدمت للتغلب
على تردد أولئك (اليهود والاميين) الذين كانوا
يعارضون هذه المبادرة ، وما هي العوامل التي
مكنت الصهيونيين من مثل هذا النجاح الباهر ،
يجد أمامه أيضا من الكتابات الجديدة . ففي كل
شهر تظهر كتب جديدة لمؤلفين نجحوا في الحصول
على معلومات جديدة — او على معلومات كانت
مخفية او متغافل عنها — لها تأثير كبير على
موضوعات هامة حديثة . وهنا تجدر الإشارة الى
ان بين أولئك الذين يعملون على إعادة التحييص
في خلفية المسألة الفلسطينية عدد من الكتابات
الاسرائيليين الذين من المتوقع ان تساعد تحليلاتهم
لدواعي واطباع الصهيونيين الاوائل على اضعاف
هيمنة اسرائيل على الفكر الغربي . ومن ابرز هؤلاء
عاموس السون مؤلف كتاب « الاسرائيليون :
مؤسسون وابناء » الذي يعالج بموضوعية نادرة
المعضلة التي تواجه اسرائيل التي اقيمت على
حساب عرب فلسطين . وهذا الكتاب يكمل في كثير
من الجوانح كتاب خالد قشطيني ، اذ ان المؤلف ،
كاسرائيلي ، يشر اعتبارا على بيانات من الداخل
الى عدد من المغالطات في الفكر الصهيوني يكشفها
قشطيني من الخارج .

ان كتاب « عمران فلسطين » الذي نحن بصدد
مراجعتها هو محاولة لخرق جدار الميثولوجيا التي
غلقت القضية الفلسطينية منذ زمن طويل ،
وللوصول الى حقيقة شعب فلسطين وتاريخها الذي
كان له اعظم الاثر في تطور التاريخ الانساني .
ولتحقيق ذلك ، يصف المؤلف الحضارة التي وجدها

ان كتاب خالد القشطيني من الكتب التي كان من
الضرورة ان تكتب ، ليس الان فقط ، بل ومنذ
عشرين سنة ، خاصة وانه مزود بايضاحات عن
الخلفية الجغرافية والعمرائية والاجتماعية
والاقتصادية لفلسطين التي بدأت تؤول الى الزوال
بشكل سريع . وقبل البدء في استعراض الكتاب
لا بد من الإشارة الى ان تقسيما كبيرا من المواد التي
جمعها قشطيني في هذا الكتاب متوافرة في كتب
اخرى ، ولكن بشكل ننف في تلك الكتب التي هي
موضع اهتمام الباحثين والاحصائيين . وكذلك لا بد
من الاعتراف ان مجرد جمع هذه المادة ورسم صورة
متوازنة منها لتاريخ فلسطين وتطورها عمل يستحق
الثناء والتقدير ، علما بان هناك جهودا ، في
المقابل ، تبذل عن سابق تصميم لتشويه ، ان لم
يكن محو ، صورة فلسطين الحقيقية . من هنا ارى
انه ، رغم البحث والتدقيق والعماء الذي بذله
المؤلف في وضع الكتاب ، من المؤسف حقا وجود
أخطاء في تقديم المادة يمكن ان تستخدم كحجة
يتمسك بها جميع اولئك الذين لا يعجبهم الكتاب .
ففي طبع كتاب من هذا النوع ، حيث الدقة هي أهم
ما يرمى اليه المؤلف الذي يهدف الى تصحيح
أخطاء الآخرين ، من المؤسف وجود مثل هذا
الاهمال في تصحيح الطباعة وفي الهفوات الصغيرة
التي تصرف القارئ عن الاهتمام بتتبع تسلسل
الاراء المطروحة . ولو ظهر مثل هذا الكتاب ،
الذي يعرض مثل هذه الصورة غير المتعارف عليها
لتسلسل الاحداث في فلسطين ، قبل سنة او سنتين
لكانت مثل هذه الضعفات قاضية . وما اقصده به
هو ان هذه الصورة غير مألوفة للقراء العاديين
الذين كانوا غارقين تحت وابل من المعلومات
الخاطئة ، التي كان بعضها مضللا عن غير قصد
في حين كان البعض الاخر يخدم اهدافا دعائية .